Archive of SID

إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الخامسة ـ العدد العشرون ـ شتاء ١٣٩٤ش/كانون الأول ٢٠١٥م
صص ٦٩ ـ ٥٣

استدعاء التراث فى مسرحيّة "عنتر بن شدّاد" لأبى خليل القبانى

فاطمة پرچكانى*

الملخّص

إنّ استدعاء التراث يُعتبر من أبرز المظاهر التى يمكن إيجادها فى النصوص الأدبيّة والفنّية والمسرحيّة الحديثة، وقد عُرفت شخصيّة البطل فى كلّ الحضارات القديمة ودخلت إلى الآداب والفنون وعلى الأخصّ الأساطير والملاحم والسير الشعبيّة والأدب الشفهىّ، والنصوص المسرحيّة. وعنترة من أشهر أبطال العرب الذى يمكن اعتباره بطلاً ملحميًّا، إذ يصارع القوى فتغلبه.

كتب أبو خليل القبّانى، الرائد المسرحىّ فى سوريا وأحد روّاد المسرح فى العالم العربى والمشرق بشكل عامّ، مسرحيّات عديدة، واقتبس حكايات بعض من مسرحيّاته من القصص الشعبيّة، منها مسرحية "عنتر بن شدّاد". وبالرغم من أنّ هناك نصوصاً مسرحيّة أخرى كُتبت فى اللغة العربيّة عن عنترة بن شدّاد، إلاّ أنّ أهمّيّة مسرحية القبّانى، قبل كلّ شىء تكمن فى أنّها الأولى فى العالم العربىّ بنيت على هذه الشخصية التراثية.

يتمحور البحث حول كيفيّة استدعاء التراث فى مسرحية القبانى، من خلال دراسة شخصيّة البطل بين السيرة الأصيلة كنصّ أدبىّ والمسرحيّة الحديثة كفنّ للعرض، وذلك من خلال المنهج الوصفى التحليلى.

ويتبيّن لنا أنّ القبّانى، -وإن كان لا يعتمد على قصّة عنترة كحدث تاريخىّ- إلاّ أنّه يستدعى حكاية هذا البطل ليعالج أوضاع الفترة التى عاش فيها، وظروفها الاجتماعيّة، إذ كان مجتمعه بحاجة للتذكير بشخصيّة بطل شجاع ذى أخلاق حميدة يتمتّع بفتوّة يجسدها عنترة.

الكلمات الدليلية: التراث، البطل، السيرة، عنترة بن شدّاد، القبّانى، المسرحيّة.

*. أستاذة مساعدة فى اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمى، طهران، إيران
fparchegani@gmail.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. جميل جعفرى
تاريخ الوصول: ١٣٩٤/٤/١٢ش تاريخ القبول: ١٣٩٤/٩/١٩ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدّمة

إنّ التراث Patrimoine، هو مجموعة الإبداع الفكرى والإنتاج الحضارى والتاريخى، فى الثقافة، وهو مجموعة النفائس والحقوق التى تلحق الإنسان. (Dictionnaire Encyclopédique, 1979:4987) و"الموروث" Héritage يشمل التراث الروحى، والتراث هو الموروث الثقافى والفكرى والدينى والأدبى والفنى والمضمون الذى تحمله هذه الكلمة داخل الخطاب العربى المعاصر. (جابرى، ١٩٩١: ٢٣) ومن هذا المنطلق، تُعتبر السير الشعبية لدى الشعوب المختلفة من ضمن تراثها.

والبطل Le Heros هو الكائن الخارق الذى يختلف بتفوّقه عن عامّة البشر، وقد عُرفت شخصيّة البطل فى كلّ الحضارات القديمة ودخلت إلى الآداب والفنون وعلى الأخصّ الأساطير والملاحم والسير الشعبيّة والأدب الشفهىّ، والنصوص المسرحيّة. (إلياس، ٢٠٠٦م: ١٠٢) وعنترة أحد هؤلاء الأبطال الذين عرفهم العرب، وربّما هو أشهر بطل عربىّ يمكن اعتباره بطلاً ملحميًّا، إذ يصارع القوى فتغلبه.

يُعتبر أبو خليل القبّانى[١] أحد روّاد المسرح فى البلدان العربيّة والمشرق بشكل عامّ، وهو أيضًا رائد المسرح فى سوريا والذى بدأ بكتابة المسرحيّات وعرضها فى دمشق، حوالى سنة ١٨٦٥ للميلاد. (نجم، ١٩٦٣: ٦١) كتب القبّانى مسرحيّات عديدة، واقتبس حكايات بعض من مسرحيّاته من القصص الشعبيّة، منها مسرحية "عنتر بن شدّاد". ونشير إلى أنّ عنتر هو "عنترة"، وقد اعتمد بعض الكتّاب كتابة الاسم من دون التاء المربوطة.

قصّة عنترة بن شدّاد وسيرته معروفتان فى العالم العربىّ، وكُتبت عنه قصص وسير

١. بدأ المسرح السورى مع أحمد أبى خليل القبّانى الذى قام بأوّل محاولة مسرحيّة له سنة ١٨٦٥م فى دمشق التى كانت من ضمن ولايات عثمانيّة فى القرن التاسع عشر. إنّ قراءة ما كُتب عن علاقة القبّانى بالمسرح تُبيّن أنّ صلته بالمسرح، والذى تحوّل إلى حبّه لممارسة هذا الفنّ، لها جذور فى التمثيليّات الشعبيّة التى كانت تُعرَض فى دمشق. ويحتمل أيضًا أنّه كان على اطّلاع على المسرح التركى بسبب أصله التركىّ. كما أنّ القبّانى لجأ إلى التاريخ العربىّ فى بعض مسرحيّاته واستوحى منه. واعتُبر القبّانى مبتدع المسرحيّة الغنائيّة القصيرة (Operette) فى المسرح العربىّ. اتُّهم القبانى بإفساد الجيل والمجتمع وتعرّض لمعارضة مسرحه، فغادر دمشق إلى مصر وأسّس فرقته هناك. راجع: (أبوشنب، ١٩٧٨م: ١٤؛ المالح، ١٩٨٤م: ١٢-١٣؛ الكيلانى، ١٩٤٨م)

www.SID.ir

Archive of SID

ومسـرحیّات کثیرة، وأصبحت شخصیّته موضع اهتمام عدد من الکتّاب المسرحیّین بعد القبّانی، منهم "أحمد شـوقی" الذی کتب مسـرحیّة باللغة العربیّة، و"شکری غانم" الذی ألّف مسـرحیّة عن عنترة باللغة الفرنسـیّة، قُدّمت فی أوبرا فی فرنسـا، ومن ثمّ ترجمها "إلیاس أبو شـبکة" إلی العربیّة. وکلٌّ منهما تناول شـخصیّة عنترة بشـکل مختلف عن الآخر إلی حدّ ما.

لکنّ أهمّیّة مسرحیة "عنتر بن شداد" التی ألّفها القبّانی قبل کلّ شیء تکمن فی ریادتها فی العالم العربیّ، خاصة وأنّ تخصیص مسرحیّة عن شخصیة عنترة یتمّ فی بدایات اهتمام العرب بالمسرح علی الطراز الأوروبیّ. وبالرغم من هذه الأهمیة، لم تحظی هذه المسرحیة باهتمام النقّاد من ناحیة تحلیلها أو دراسة دور المصدر التراثی فیها کما یجب.

یتناول هذا البحث کیفیّة اسـتدعاء التراث فی مسـرحیة "عنتر بن شـداد" للقبانی ودراسـة شـخصیّة البطل بین السـیرة الأصیلة کنصّ أدبیّ، والمسـرحیّة الحدیثة کفنّ للعرض، لنری کیف أخذ القبانی المادّة الخام لمسـرحیّته من التراث العربی وکیف وظّف هذا الاقتباس فی خدمة مسـرحه وما هی وجوه التشابه والاختلاف بین شخصیة البطل فی السیرة الشعبیة وفی مسرحیة القبانی. وذلک من خلال المنهج الوصفی التحلیلی.

هذا الاستدعاء یقع فی إطار "التداخل النصی" الذی یحدّده جیرار جینیت Gérard Genette بأنّه علاقة تواجد بین نصّین أو أکثر بمعنی أن یظهر وجود فعلی لنصّ ما فی نصّ آخر. ویری أنّ النصّ الحالی الذی یسـمّی النصّ (ب) أو النصّ الکبیر (hypertexte) یلتقی بنصّ سـابق یتعلّق به وفق أشـکال مختلفة ویسـمیه النصّ (أ) أو النصّ الصغیر (hypotexte) بحیـث أنّ النصّ الحالی أی النصّ (ب) لا یتّخذ کلّ أبعاده إلاّ من خلال النصّ السابق أی النصّ (أ). (Gérard Genette, 1982: 13-16)

أمّا بالنسبة إلی عنترة بن شدّاد الشاعر الجاهلی، فنعرفه من خلال مصدرَین مهمَّین، هما التاریخ والسیر الشعبیّة التی جعلت شخصیّة عنترة مختلفة إلی حدّ ما عن الشخصیّة التاریخیّة، وجعلت من عنترة بطلاً کبیرًا ونسـبت إلیه صفات البطل ومیزاته کالشجاعة والفروسیّة والأخلاق السامیة. کذلک نُسب إلیه حبّه ابنة عمّه "عبلة" الذی أصبح مصدر الکثیر من أعماله وتصرفاته البطولیّة.

www.SID.ir

Archive of SID

لقد تعدّدت فى السنوات الأخيرة الدراسات التى تظهر دور التراث فى الأدب وخاصّة فى الرواية والشعر، نذكر منها على سبيل المثال دراسات سعيد يقطين، حيث يربط الإبداع السردى الجديد بماضيه أى بالتراث العربى القديم الذى يتفاعل معه، وانطلق خاصة من حضور الجنس الأدبى التراثى فى الرواية العربيّة الحديثة ومدى تأثيره فى عمليّة تأطير بنيتها الروائيّة. (محقق، ٢٠٠٦م)

أما فى المسرح، فلاستدعاء التراث مساحة كبيرة، إذ خُصّصت دراسات لهذا المجال، منها:كتاب "ألف عام وعام على المسرح العربى" لتمارا الكساندروفنا بوتيتسيفا، الذى تتطرّق الكاتبة فيه إلى توظيف التراث فى المسرح العربى. والكاتبة حورية محمد حمو تتحدّث عن المسرح والتراث فى الأعمال المسرحية الفنية التى سعت إلى تأصيل المسرح العربى. كما أنّ سامح مهران فى كتاب "الحداثة والتراث فى المسرح العربى" يخصّص بحثًا للتراث فى المسرح خصوصًا فيما يخصّ بالحديث عن تيّار البطولية الذى يعتمد على البطل فى التراث. والدكتور كمال الدين حسن فى كتابه "التراث الشعبى فى المسرح المصرى الحديث" يتناول الدراسة النظرية لمفهوم التراث الشعبى والدراسة التطبيقية لتوظيف التراث فى المسرح المصرى. وفى كتاب حديث صدر سنة ٢٠١٣، تطرّق إياد كاظم الإسلامى إلى التراث الأسطورى فى المسرح العربى، فى كتابه "التناصّ الأسطورى فى المسرح" كما عالج المناهج الأسطوريّة للأدب والبحث فى المنجز النصى المسرحى. كما أنّه طبّق بحثه على نصوص مسرحيّة تناولت الأسطورة البابليّة القديمة.

أوّلاً: سيرة عنترة

لقد أصبحت شخصيّة عنترة رمزًا للبطولة والفروسيّة تناقلت أخبارها الأجيال ودخلت فى موروث الأمّة الشعبىّ حتّى كتبت عنها السيرة الشعبيّة. وتقوم سيرته على أنّه أشهر أبطال الجاهليّة وأحد شعرائها. وتشرح السيرة كيف استطاع عنترة فى زمن يقدّس العرب الجاهليّون عنصرَ الدم، أن يفتح طريقه إلى المجد، وكيف اتّكل على سيفه وبطولته، وكذلک فصاحته وشاعريّته. لذلک جاءت السيرة رواية حماسيّة من جهة وغراميّة من جهة أخرى.

www.SID.ir

Archive of SID

وإنّ الموضوعات الأساسیّة التی نراها فی سیرة عنترة هی الإشارات إلی زنجیّته وحبّه وتمجید بطولته والافتخار بالحسب والنسب. ولقد صوّرت السیرة الشعبیّة عنترة بن شدّاد کشخصیّة محبوبة، لأنّ ما فیها من صفات یجعل صاحبها قریبًا من القلوب. (قاسم، ۲۰۰۸م: ۲۰-۲۵؛ سلیمان، ۱۹۶۰م: ۱۰۲-۱۰۳، ۱۰)

ونلاحظ أنّ حبّ عنترة لعبلة من أهمّ العناصر الموجودة فی السیرة، إذ تدور مساعی عنترة ومعاناته ومشقّاته حول الوصول إلی حبیبته والزواج منها وهو الهدف الأساسیّ بالنسبة إلیه. تُشیر السیرة إلی أنّ حبّه لها أعمی وعمیق ومخلص، وهو فی الوقت نفسه عاشق حزین یتأثّر بصوت الحمائم ونسمات الریح الناعمة.

کذلک ورد فی السیرة أنّ عنترة أُخبر بأنّ عبلة تزوّجت مجبرة من شخص آخر یدعی "بسطام بن قیس بن مسعود"، فأحسّ عنترة «أنّ روحه قد انسکّت من جسده من شدّة الغرام.» (قاسم، ۲۰۰۸م: ۲۰-۲۵)

لکنّ البعض یعتقدون بأنّ عنترة تزوّج عبلة بعد أن زالت عنه هجنة النسب، وأصبح ابن عمّ عبلة بآصرة القرابة الوثقی، ودلیل هؤلاء أنّ شِیَم عنترة وبداوته لا تقبل التغزّل بمن تزوّجت غیره. ولو کانت متزوّجة من غیره، لما تغزّل بها. (قاسم، ۲۰۰۸م: ۲۰-۲۵)

إضافة إلی ذلک، إنّ شاعریّة عنترة من المیزات المهمّة التی تتمّم بطولته وفروسیّته. نری عنترة فی السیرة شاعرًا من الطراز الأوّل وهو صاحب إحدی المعلّقات بالرغم من الصعوبات التی اعترضته. (راجع: موجز دائرة المعارف الإسلامیّة، ۱۹۶۸م، ج ۲٤: ۷۵۱۶ -۷۵۱۷؛ The Encyclopedia of Islam, 1913: volume 1: p 362; The Encyclopedia of Islam, 1960: volume 1: new edition, p 518- 519.)

أمّا عن منزلة سیرة عنترة الأدبیّة، فیَعتبرها الأدباء معرضًا زاخرًا للصور الصادقة والشعور المخلص فی حیاة العربیّ الجاهلی فی ذلک الزمن، علما أنه لا یمکن اعتبارها مصدراً تاریخیّاً لذلک العصر. ولکنها تبقی فی مقدّمة الحکایات العربیّة البطولیّة، وأطولها. (سلیمان، ۱۹۶۰م: ۱۳۱-۱۳۲)

ویعتقد الکاتب "فاروق خورشید" أنّ شخصیّة البطل فی سیرة عنترة قد مرّت بخمس مراحل، هی: مرحلة التکوین، ومرحلة الفروسیّة أو المرحلة الذاتیّة، ومرحلة

www.SID.ir

Archive of SID

الأسطوريّة، ومرحلة الملحميّة، ومرحلة الامتداد.

وتمثّل كلّ مرحلة من هذه المراحل نقلة هامّة فى شخصيّة البطل، وفى بناء قصّته. فمرحلة التكوين تتكوّن من مجموعة الأخبار التى تشكّل الامتداد الأسطورى التاريخىّ لقابليّة البطل وللبطل نفسه حتّى مولده، تليها مرحلة ولادة البطل نفسه. وفى المراحل الأخرى، الفروسيّة مثلاً، يحقّق البطل كيانه كبطل فارس وإنسان مغامر، ويرتفع إلى أعلى مراتب الفروسيّة ليصبح البطل المغامر، ويثبت تقاليد الفروسيّة العربيّة، ثمّ يصبح فى مرحلة تالية رمزًا للإنسان العربىّ فى مواقفه السياسيّة والعسكريّة من أعدائه، ثمّ يتحوّل إلى بطل قومىّ. (خورشيد، ١٩٩١م: ١٢١، ١٢٢، ١٢٥)

أمّا المرحلة الملحميّة فتبدأ بشىء جديد فى حياة عنترة وتظهر الصورة الملحميّة لأعمال عنترة فى هذه المرحلة. ومرحلة الامتداد هى مرحلة ينتهى فيها البطل وتنتهى إلى جواره الخيوط التى كانت تربط مجتمعه الخاصّ بمجتمعه العامّ. (خورشيد، ١٩٨٠م: ١٦٣، ١٧٩)

ثانيًا: الاستعراض والاستلهام الكلّى لأسطورة عنترة فى مسرحيّة القبّانى

لقد قدّمت السير المادة الخام للرواية والدراما فى العالم العربى، كما كانت الحكايات والأقاصيص تقدّم المادّة الضرورية للكوميديا. (بوتيتسيفا، ١٩٨١م: ٧٤)

نعنى بالاستعراض والاستلهام الكلّى للأسطورة أن يستدعى الكاتب الشخصيّة الأسطوريّة ويخصّص لها نصًّا بكامله ليخلق معادلاً تصويريًا لبعد متكامل من أبعاد رؤيته إلى الأسطورة. (عشرى زايد، ١٩٧٨م: ٢٨٠) هذا ما فعله القبّانى إذ يخصّص مسرحيّة كاملة لعنترة وتصرّفاته البطولية الأسطوريّة. إلاّ أنّ القبّانى لم يتناول موضوع عنترة بن شدّاد فى مسرحيّته كما تناوله الآخرون، أو كما ورد فى سيرة عنترة، إذ نرى هناك فروقا بين عنترة الذى نعرفه من خلال السيرة، وعنترة فى مسرحيّة القبّانى.

ويمكن اعتبار حياة عنترة عند القبّانى امتدادًا لحياة عنترة التاريخيّة، إذ نراه فى مسرحيّة القبّانى تزوّج من عبلة، فى حين أنّه كان يحاول الزواج بعبلة كما رُوى فى سيرته.

www.SID.ir

Archive of SID

فنلاحظ وجود بعض وجوه التشابه والتباين بين شخصيّتَى عنترة عند مقارنتهما بين السيرة والمسرحيّة.

١- وجوه التشابه

ألف- الخصائص الظاهريّة

يمكن التحدّث عن وجوه التشابه عند عنترة بن شدّاد كما نعرفه فى السيرة، وبين عنترة فى مسرحيّة القبّانى، فى عدّة أقسام، منها من حيث الشكل الخارجى ومن حيث الصفات والأخلاق التى رُويت عنه أو التى نجدها فى مسرحيّة للقبّانى، وكذلك يمكن التحدّث عن المواقف التى يتّخذها عنترة أو الحالات التى ينسبها المؤلّف لعنترة مثل الفشل أو الانتصار أو ما شابه.

أمّا من حيث الشكل، كما ورد فى السيرة، وقد أشرنا إليه، فعنترة بن شدّاد كان زنجيًّا. وقد احتفظ القبّانى بهذه الخصوصيّة عند عنترة فى مسرحيّته، فنرى بعض الإشارات إلى زنجيّة عنترة.

تجدر الإشارة إلى أنّ عنترة كما ورد فى السيرة، وكما أشرنا إليه سابقًا، سُمّى بـ "الفلحاء"، أى مشقوق الشفة السفلى. لكنّنا لا نرى هذه النقطة عند عنترة فى مسرحيّة القبّانى. ولم يوظّف المؤلّف هذا الأمر فى مسرحيّته، ولا نعتقد لهذه العلامة أو غيرها من العلامات أو العيوب التى كانت فى وجهه أهمّيّة، وربّما لهذا السبب لا نرى أثرًا لهذه التفاصيل فى عنترة القبّانى.

بالنسبة إلى عمر عنترة فى مسرحيّة القبّانى، لا يوجد إشارات مباشرة له، لكن يمكن التخمين أنّه فى هذه المسرحيّة فى سنوات شبابه، فى الثلاثينيّات أو الأربعينيّات من عمره فى حدّ أقصى، وذلك من خلال بعض السياقات الواردة فى المسرحيّة، كما أنّ زوجة عنترة عبلة التى ينجذب الأمير مسعود إلى جمالها يُفترض أن تكون فى عمر غير كبير أى فى شبابها.

من جانب آخر، شخصيّة عنترة تظهر فى المسرحيّة كفارس شجاع قويّ له مكانته المميّزة فى قبيلته، وهذه الميزات تجعلنا نشعر بأنّه فى سنين متوسّطة من عمره. (راجع:

www.SID.ir

Archive of SID

الموسوعة العربيّة، ٢٠٠٥م، ج ١٣: ٥٨٠؛ ديوان عنترة، ١٩٩٢م، ١٠؛ كتاب عنترة بن شدّاد، ١٩٠٨م: ج ١، ٣- ٨؛ سليمان، ١٩٦٠م: ١٠٨- ١٢١؛ (قاسم، ٢٠٠٨م: ٢٠-٢٥)

ب- رمزيّة بطولة عنترة بين القديم والحديث

إنّ ميزة البطل الرئيسيّة في مسرحيّة عنترة هي أنّه بطل خارج المسرحيّة أيضًا، أي هو بطل شعبيّ في الأدب والثقافة العربيّين، وشخصيّة تاريخيّة أدخلها القبّاني إلى مسرحيّته، وأعطاها بُعدًا بطوليًّا مضاعفًا، فأصبح عنترة البطل، الشخصيّة الرئيسيّة في المسرحيّة.

إنّ بطولة عنترة كشخصيّة أسطوريّة، رمز ظهر في التراث العربي، ولذلك أضيفت إلى سيرته التاريخية عناصر أسطورية، وكتب عنها قصص وروايات متعدّدة خلال قرون. هذه الرمزيّة يحاول القبّاني الحفاظ عليها، إذ إنّه يرى أنّ كلّ عصر يحتاج إلى عنترته، وإنّ عصر القبّاني يشبه القرون السابقة التي مضت للشعوب العربيّة، وهم بحاجة إلى شخصيّة كشخصيّة عنترة التي تُعتبر رمزًا للحرّيّة، من أجل إخراج الشعوب العربيّة من مأساتهم. لذلك يضع القبّاني عنترة مسرحيّته امتدادًا لعنترة السيرة من حيث الصفات والميزات البطوليّة. بعبارة أخرى، يستخدم القبّاني شخصيّة أسطوريّة وتراثيّة كعنترة كرمز من أجل تحميلها المعاني الجديدة المتمثّلة في ضرورة القيام بالأعمال البطوليّة لتحقّق الحرّيّة، والحفاظ على القيم.

بالنسبة إلى الصفات التي يتّصف بها عنترة في السيرة، نرى أنّه كان يتمتّع بشخصيّة محبوبة، فهو يتحلّى بالشجاعة والبطولة والجرأة ورقّة القلب ودقّة الإحساس ورحب الصدر، وعفّة النظر واللسان، وكرم وجود، وشهرته في الفروسيّة. (عنترة، ١٩٩٢م: ٥، ١٠)

وتبدو هذه الصفات المنسوبة لعنترة، عند القبّاني في مسرحيّته، فالقبّاني ينسب هذه الصفات بلسان بعض شخصيّات المسرحيّة، أو بلسان عنترة نفسه، وكذلك عن طريق أعمال عنترة وتصرّفاته.

وتقول زوجته عبلة عنه: «هو أعظم منهم شأنًا، وأرفعهم مكانًا، آكل خفارات

www.SID.ir

Archive of SID

الجمیع، وسیّد الرفیع والوضیع. مغنی عبس إذا افتقرت، ومعزّها إذا ذلّت. قاتل خالد بن محارب، وفارس المشـارق والمغارب. اللیث الهصور، والأسد الغضنفر الذی قتل العوبتا وابن المنذر النعمان حیّة بطن الواد، وقادح النار بغیر زناد... .» (القبّانی، ١٩٦٣م: ٢٠٢)

وتنصح عبلة أمّ مسـعود بقولها عن عنترة : «یجب علیک أن تردیه [مسـعود]، عن الجنـون الذی هو فیـه. وإلاّ لو علم زوجی بهذا الخبر، یجعله عـبرة لمن اعتبر. وینهب أمواله، ویهلک رجاله.» (القبّانی، ١٩٦٣م: ٢٠٢)

وتقول شخصیّة أخری اسمها جندلة، عندما یری زوجته الساحرة مقتولة : «وهل غیر ابن شدّاد یفعل کهذه الفعال، ویتجرّأ علی النساء والرجال؟» (القبّانی، ١٩٦٣م: ٢٠٨)

ویقـول حارث: «... وأمّا عنترة ابن الأمَـة، فأرفع من ألف ابن حرّة مکرّمة. وقاهر الأبطـال والصنادید، ومذیب بهمّته الجلامید. ومکرم الضیف، والضارب بالسـیف... .» (القبّانی، ١٩٦٣م: ٢١٤)

ولا یخاف من الحرب، ویخاطب زوجته بثقة بالنفس عند مغادرته إلی الحرب:

«غدًا یا بنت مالک تنظرینا وسوف ترین آساد العرینا...
ولا تخشـی فإنّ حماک لیث یمیت الموت قبل الدارعینا»

(القبّانی، ١٩٦٣م: ٢٢٢)

ویقـول وهـو یُحاول أن یخفّف من قیمة أعدائه: «مه أیّهـا الجبان. وإذا کانوا ألوف، وفِرَق وصفوف، فما هم وحیاة أبی شـدّاد، إلاّ کالغنم السارحة فی الوهاد... .» (القبّانی، ١٩٦٣م: ٢٢٧)

حتّی أنّ المسـرحیّة تنتهی فی جو الحرب واسـتعداد عنترة لقتال أعدائه وهو یطمح بتحقّق الانتصار.

کذلک شهرته فی الفروسیّة من المیزات التی یتمتّع بها عنترة التاریخیّ وعنترة القبّانی.

تقول زوجته عبلة فی المسـرحیّة : «... الضارب بالسیوف الحداد، والطاعن بالرماح المـداد، ومعلّم الفرسـان الحرب والجلاد، عـروس الخیل عنترة بن شـدّاد.» (القبّانی، ١٩٦٣م: ٢٠٢)

ویخاطبـه الملک قیس: «الجواب لـک یا فارس الفرسـان... .» (القبّانی، ١٩٦٣م:

www.SID.ir

Archive of SID

٢١٧)

ونرى أنّ الملك يحترمه ويعظّم شـأنه، إذ يترك له خيار الجواب إلى رسـول العدوّ بقول لعنترة: «... فنحن لا يعنينا هذا الشـأن، فجاوب الرسـول بما ترغب أيّها المؤتمن، والذى تراه حسنًا نراه أحسن. وهذا هو جوابى أيّها المحترم، والشهم الأكرم.» (القبّانى، ١٩٦٣م: ٢١٧)

وينسـب مؤلّف المسـرحيّة لعنترة صفة المروءة أيضًا، عندما يقول بلسـانه: «... وأنا أقسـم... بنخوتى العبسيّة، ومروءتى العدنانيّة. لا بدّ أن أقتل ابن مصاد، ولو عصمته منّى السموات الشداد... .» (القبّانى، ١٩٦٣م: ٢١٠) وهذا ما نراه فى سيرة عنترة أيضًا، أى الافتخار بالنسب الذى هو عنصر مهمّ وأساسىّ نجده فى السيرة.

يحاول القبّانى اسـتلهام التراث ليتطرّق إلى الوضع الراهن لمجتمعه الذى يحتاج إلى بطولة كبطولة عنترة؛ «التراث القديم بأفكاره وتصوّراته ومُثُله موجّهًا لسلوك الجماهير فى حياتها اليومية.» (حنفى، ١٩٨٠م: ١٢)

إنّ البطولـة، وإن كانـت تختلف مظاهرها بين القديم والحديـث، إلاّ أنّها تبقى رمزا ويعتمد عليه القبّانى فى عصره، ويسـتدعى البطل الدرامـى كتعبير فنّى عن الفرد الذى يبقى وسط دوّامة الصراعات مع القوى المحيطة به. بمعنى آخر، يستفيد الكاتب من البطل الملحمى الـذى يتمتّع بإمكانيّات خارقة، من أجل التعبـير عمّا يعيش من الظروف فى المجتمع الذى كان يقع تحت سيطرة العثمانيين، وقد يشعر بأنّ هذا المجتمع يحتاج لإنقاذه إلى بطل كعنترة.

وهذا اللجوء إلى السـير الشـعبية من أجل الأهداف السياسية والاجتماعية، وُجد منـذ القديم عند الرواة الذين كان لا بدّ لهم أن يمسّـوا من المشـاكل ما يُرضى المتلقّين أو الجماهير ويتجاوب مع مشـاعرهم. أى كان الرواة يعتمدون على السـير الشعبية فى تغليف الاتّجاهات السياسية. (خورشيد، ١٩٨٠م: ١٩٣– ١٩٤)

والشخصيات التى وردت فى سيرة عنترة وفى مسرحية القبانى، تعطى من دون شكّ زخمًا لقضايا العرب فى تلك الفترة.

www.SID.ir

Archive of SID

٢- وجوه التباین

الف- تباین بین السیرة والمسرحیّة من منشأ أخلاقی

أجری القبّانی تعدیلات علی ما رُوی عن عنترة بالنسبة إلی بعض خصوصیّاته، وفقًا لنظرة أخلاقیّة. من أبرز هذه الخصوصیّات أنّ عنترة فی السیرة عاشق أعزب وعنترة فی مسرحیّة القبّانی زوج.

تذکر سیرة عنترة بأنّه أحبّ ابنة عمّه عبلة بنت مالک بن قراد العبسیّ، ویُقال إنّ عمّه وعده بها، ولکنّه لم یف بوعده، وإنّما کان یتنقّل بها فی قبائل العرب لیبعدها عنه. (عنترة، ١٩٩٢م: ٨) وإن تکن القصّة زوّجت عنترة بعبلة، فلیس فی شعر عنترة ما یدلّ علی صحّة ذلک. بل هناک إشارة فی شعره إلی أنّها تزوجّت غیره. وهو فی قصیدته اللامیّة التی مطلعها "عجبت عبیلة من فتی متبذّل" یخاطب عبلة ویقول:

«فلَربّ أبلجَ مثل بعلکِ بادنٍ ضخمٍ علی ظهر الجواد مُهیّلِ
غادرتُه متعفّرًا أوصاله، والقومُ بین مُجرَّحٍ ومجدَّلِ»

(عنترة، ١٩٩٢م: ٦٠)

ویقول فی معلّقته:

«حلّت بأرض الزائرین فأصبحتْ عَسِرًا علیَّ طِلابُکِ ابنةَ مخرمِ»

(عنترة، ١٩٩٢م: ١٦)

عنترة بن شدّاد فی مسرحیّة القبّانی زوج غیور علی زوجته، یحاول أن یحمیها من الرجال، إن کانت هذه الغیرة نتیجة حبّه الکبیر لعبلة أو مجرّد خُلق رجولیّ وعربیّ.

وإنّ عنترة یقتل الرجال فی هذه المسرحیّة من أجل حمایة زوجته، بینما فی سیرته التاریخیّة، کان یقتلهم من أجل الحصول إلی أمنیته وهی الزواج بعلبة أو من أجل منع الآخرین من الزواج بها، کما هی الحال عندما قتل "مسحل بن طراق الکندی" الذی أراد أن یتزوّج بعبلة مستهینًا بشأن عنترة. (الموسوعة العربیّة، ٢٠٠٥م، ج ١٣: ٥٨٠)

ویتبیّن لنا أنّ بطولة عنترة فی سیرته أبرز من بطولته فی مسرحیّة القبّانی. لأنّ کونه عاشقًا فی السیرة یزید من دراميّة أفعاله، فی حین أنّ کونه زوجًا فی المسرحیّة، یجعل أفعاله وتصرّفاته فی حمایة زوجته أقرب إلی الطبیعة من الدراما.

www.SID.ir

Archive of SID

رغم ذلک، لا شـکّ أنّ القبّانی أراد من عنترة الزوج أن یکون بطلاً فی المسـرحیّة. ربّما السـبب فی ذلک أنّ القبّانی وهو یعتبر الغیرة علی الزوجة، أو حمایتها من الرجال الآخرین أهمّ وأقرب إلی الأخلاق والشـیم الإسـلامیّة، من أن یکون محبًّا لفتاة ویقتل الآخرین من أجلها.

ویبدو أنّ القبّانی لا یستحبّ حبّ عنترة لعبلة کما ورد فی السیرة، وکذلک یقبّح حبّ مسـعود لعبلة کونها امرأة متزوّجة. ولذلک یجعل من عنترة بطلاً یمنع الرجل الغریب من الوصول إلی هدفه المشؤوم.

ویظهر أنّ القبّانی حاول مراعاة مجتمعه المسلم، فکونه شیخًا وملتزمًا دینیًّا وأخلاقیًّا، لا یـری مـن الجائز أن یحبّ عنترة فتـاة ویقوم بکلّ تلک الأعمـال البطولیّة من أجل الوصول إلی حبیبته.

ب- البطولة الکلامیّة مقابل البطولیة الدرامیّة

تتمتّع "الحرکة" فی المسرح بأهمّیّة کبیرة، حیث أنّه یمکن أن یستغنی العرض المسرحی عن الکلام، لکنّه لا یمکن أن یستغنی عن الحرکة مهما تقلّص دورها فی العرض. (إلیاس، ٢٠٠٦م: ١٦٩) هذا یعنی أنّ دراميّة المسرح تکمن فی الحرکة. من هذا المنطلق، إذا نظرنا إلی نصّ "عنتر بن شـدّاد" المسرحی للقبانی، نری أنّ الکاتب رکّز علی الکلام أکثر من الحرکة. وهذا ما یجعل النصّ ضعیفًا من الناحیة الدرامیة ومن الحرکة.

وفی مقابـل التصرّفات البطولیّة والأعمال الدرامیّـة العملیة التی یقوم بها عنترة فی السیرة، یحاول القبّانی أن یُظهر بطولة عنترة من خلال الکلام أکثر من العمل، إذ لا نری مشـاهد کثیرة تظهر فیها بطولة عنترة من خلال أعماله وتصرّفاته، بل یَکثر الکلام عن أنّه بطل وشـجاع وقویّ، وکما ذکرنا، یرد الکلام علی لسـان عدّة شخصیّات. فاقتصار البطولة علی الکلام لا یظهر بطولة شـخصیّة المسـرحیّة بشـکل کافٍ، خاصّة أنّ المیزة الأساسیّة فی العمل المسرحیّ هی الحرکة. وهذا یعنی أنّنا نواجه العکس فی هذه القضیّة، أی أنّ سیرة عنترة تتمتّع بدرامیّة أکبر من مسرحیّة القبانی. والقبّانی فی مسرحیّتة یقترب من المسـرح االملحمی، کما سمّاه برتولد برشـت بمعنی قصیدة سردیة طویلة تتحدّث عن

www.SID.ir

Archive of SID

البطولة. وبذلک أبعد مسرحیّته من صفة الدرامی الذی یعنی ما یتضمّن الإثارة والخطر. (انظر: إلیاس، ٢٠٠٦م: ٢٠٧- ٢٠٨)

نذکر علی سبیل المثال المشهد الأوّل من الفصل الثانی الذی نری فیه أنّ عنترة یُصاب بسحر الساحرة، ومقری الوحش هو الذی یُنقذه. هذا المشهد یقلّل من بطولة عنترة التی یروّج لها القبّانی من خلال کلام الشخصیّات. حتّی إنّ عنترة لا ینقذ زوجته من سحر الساحرة، بل مقری الوحش هو الذی یقوم بذلک من خلال حجاب جلبه معه. ویعترف عنترة بذلک أیضًا من خلال قوله لزوجته: «اعلمی یا ابنة الکرام، إنّ نجاتک کانت علی ید فارس الشام. لأنّنی أنا أیضًا سحرت، وفی شرک المکائد وقعت. وقد نجانی فارس الشام کما نجاک، وخلّصنی من أسری کما خلّصک من بلاک... .» (القبّانی، ١٩٦٣م: ٢٠٧)

حتّی عندما یقتل عنترة أعداءه، منهم مسعود وموفده، لا تظهر بطولته کما یجب. قتل عنترة موفد مسعود "جندلة" فی حضور الملک قیس، لکنّنا لا نعتبر قتله موقفًا بطولیًّا من قِبل عنترة، لأنّه یقتله علی أرضه، ولیس فی ساحة الحرب، یقتله فی حضور أعوانه وأنصاره، لکنّ جندلة لم یکن یرافقه إلاّ عدد قلیل من المرافقین. کذلک یقتله بحضور الملک الذی یدعمه ویسمح له بأن یتّخذ الموقف الذی یریده.

کذلک یختصر قتل مسعود علی ید عنترة علی أنّه یدخل إلی رفاقه حاملاً رمحًا علیه رأس مسعود. لا یُظهر لنا المؤّلف کیف حاربه عنترة وکیف قتله، ولذلک یختفی الموقف البطولیّ من قتل أهمّ شخصیّة خصم لعنترة.

خلاصة الکلام أنّ بطولة عنترة تظهر فی المسرحیّة من خلال السرد والوصف أکثر من العمل، فی حال أنّ المسرحیّة تستلزم الحدث والفعل أکثر من الکلام، والأحداث هی التی یجب أن تسرد، وعلی الکاتب المسرحیّ أن یقلّل قدر الإمکان من الکلام ویزید من الأفعال، لأنّ هذه النقطة من المیزات الأساسیّة التی تمیّز المسرحیّة عن الروایة.

وتجدر الإشارة إلی أنّ القبّانی یستعمل الحوار لإظهار بطولة عنترة من خلال شخصیّات المسرحیّة أو کلام عنترة نفسه، وذلک فی معظم الأحیان، إذ نری فی موقفین فقط یستعمل فیها عنترة، المونولوغ للتحدّث عن شجاعته. عندما قال بعد أن قتل موفد

www.SID.ir

Archive of SID

مسعود: «أنا عنتر بن شدّاد، أنا قاهر الأبطال والآساد. أنا مشبع الوحش من لحوم الأعداء... .» (القبّانی، ١٩٦٣م: ٢١٧)

وكذلک بدأ ينشد:

"أنا الشجاع الذی تعنو السباع له طوعًا وترهب منّی سطوی البطل"

(القبّانی، ١٩٦٣م: ٢١٨)

وهناک موضوع آخر فيما بين سيرة عنترة ومسرحيّة القبّانی، وهو أنّ عنترة كان ينتصر فی الحروب التی شنّها ضدّ أعدائه، وكذلک نراه منتصرًا فی الحروب فی مسرحيّة القبّانی، واستطاع أن يقتل مسعود الذی أحبّ زوجة عنترة، وعاد من الحرب وهو يحمل رأس مسعود علی الرمح. ويتمتّع هذا المشهد بعنصر دراميّ إلی حدّ ما، يحاول عنترة أن يُبرز هذا العنصر من خلال كلامه المنظوم، ويقول:

«جئنا بالفوز المعالی والعزّ والأفضال

مسعود ولی إلی نار الشقا والبلا»

(القبّانی، ١٩٦٣م: ٢٢٦)

لكنّ هذه المشاهد الدراميّة البطوليّة قليلة فی المسرحيّة، بالرغم من كثرتها فی سيرة عنترة. ولا يجب أن ننسی أنّ السيرة تكوّنت فی فترات من السنين، ومن الممكن أن يضيف الناس أو الرواة إلی السيرة بعض الروايات عن حياة عنترة البطوليّة. ولا يمكن لمسرحيّة واحدة أن تتناول كلّ هذه المشاهد. لذلک لا يُتوقّع من المسرحيّة أن تشمل مشاهد عديدة من بطولة الشخصيّة، لكنّ القبّانی تجاهل أحيانًا إضافة العنصر الدراميّ إلی المشاهد الموجودة فی المسرحيّة المكوّنة من أربعة مشاهد.

لا يستخدم القبّانی أشعار عنترة فی المسرحيّة، بل يكتب أشعارًا تتناسب والظروف المسرحيّة. أمّا اللغة المستعملة فی المسرحيّة، فهی اللغة العربيّة الفصحی التی تقترب من زمن القبّانی. واللغة الحواريّة وبخاصّة الكلام المنظوم، قريبة من اللغة العربيّة القديمة.

وإنّ أسلوب الحوار فی المسرحيّة يفوق الأسلوب الخطابی، وهذا الأسلوب الخطابیّ نراه عندما ترتجز إحدی شخصيّات المسرحيّة، لكنّ الخطاب، متداخل مع الحوار إلی حدّ كبير، إذ يُعتقَد أنّ الخطاب والحوار يندمجان أحيانًا.

www.SID.ir

Archive of SID

النتيجة

استخدم القبّانى شخصيّة عنترة بن شدّاد كمادّة تراثية فى مسرحيّته، وقد زوّد الحقل الدلالى لهذه الشخصية بمعان جديدة ساهمت فى نموّها كرمز شعبى وقومى ووطنى. ويتناغم هذا التكويــن الأدبى الجديد مع الواقع الاجتماعى الذى يعيشــه المؤلف، فبدا تعظيمه لشخصيّة عنترة ولبطولته ولشهامته ولرفضه للذلّ متناسقًا مع الفترة التى عاش فيها، ومع ظروفها الاجتماعيّة، إذ كان مجتمعه العائش تحت سلطة الحكم العثمانى، بحاجة للتذكير بشخصيّة بطل شجاع ذى أخلاق حميدة ويتمتّع بفتوّة بارزة.

وتظهر لنا مســرحيةُالقبّانى أنّ عنترة البطل / الرمز ما زال حيا فى الثقافة الشــعبية العربية وما زال موضع اهتمام العرب. فهم يرون فيه دائما شــخصيّة العبد الذى صارع ليحقّق ذاته وليتمتّع بالمساواة، وليُثبت أن قيمة الانسان ليست فى لون بشرته أو فى أصله وإنما فى القيم الأخلاقية التى يلتزم بها.

كما أنّ القبّانى أحدث تعديلات فيما يتعلّق بشــخصيّة عنترة من الناحية الأخلاقيّة، إذ إنّ ســبب التعديل فيها وجعله زوجًا لعبلة وليس شــابًّا أعزب وعاشقًا لها، يعود ربّما إلــى إعطاء الغيرة أهمّيّة أكبر من مجرّد الحــّب. وفى الأخير، إن العمل الأدبى ليس نقلا للتراث ولا تكرارًا له وإنما هو فى إحياء التراث وفى إعطائه بعدًا جماليًا جديدًا وهذا ما يمكن أن نلمسه فى مسرحية القبانى. فقد ساهم بدوره وإلى حد بعيد فى استمرارية البعد الاسطورى لهذه الشخصية.

إضافة إلى ذلک، اختيار القبّانى نوعًا أدبيًّا جديدًا وهو المســرحية بدلاً من الأنواع التقليدية الأخرى مثل الشــعر أو القصّة، يمثّل التجديــد فى فكره وفى طريقة تعبيره عن قضايا مجتمعه، ويتماشى هذا الاختيار مع الفكر التجديدى السائد فى عصره، الذى أدّى إلى دخول أنواع أدبية جديدة مثل المسرح إلى المشرق وتحديدًا البلدان العربيّة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربيّة

أبوشنب، عادل. ١٩٧٨م. بواكير التأليف المسرحىّ فى سورية. لا طبعة. دمشق: اتّحاد الكتّاب العرب.

www.SID.ir

Archive of SID

إلياس، مارى. قصّاب حسن. حنان. ٢٠٠٦م. المعجم المسرحيّ. الطبعة الثانية. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

الأهرام. ٣ أكتوبر ١٨٨٤. العدد ٢٠٤٩؛ (يناير ١٨٨٥). العدد ٢١١٣؛ (١٩ أبريل ١٨٨٥). العدد ٢١٨٥.

بلبل، فرحان. ١٩٩٧م. المسرح السوريّ فى مائة عام ١٨٤٧- ١٩٤٦. لا طبعة. دمشق: المعهد العالى للفنون المسرحيّة.

بوتيتسيڤا، تمارا ألكساندروڤنا. ١٩٨١م. ألف عام وعام على المسرح العربيّ. ترجمة: توفيق المؤذن. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفارابى.

الجابرى، محمّد عابد. ١٩٩١م. التراث والحداثة. لا طبعة. الدار البيضاء: المركز الثقافى العربى.

حسن، كمال الدين. ١٩٩٣م. التراث الشعبى فى المسرح المصرى الحديث. تقديم مختار السويفى. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

حنفى، حسن. ١٩٨٠م. التراث والتجديد. الطبعة الأولى. القاهرة: المركز العربى للبحث والنشر.

حمو، حورية محمد. ١٩٩٩م. تأصيل المسرح العربى بين التنظير والتطبيق فى سورية ومصر. لا طبعة. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.

خورشيد، فاروق. ١٩٩١م. الجذور الشعبيّة للمسرح العربيّ. لا طبعة. القاهرة. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

خورشيد، فاروق. ذهنى. محمود. ١٩٨٠م. فنّ كتابة السيرة الشعبيّة؛ دراسة فنّيّة نقديّة للسيرة الشعبيّة عنترة بن شدّاد. الطبعة الثانية. بيروت. منشورات اقرأ.

سليمان، موسى. ١٩٦٠م. الأدب القصصيّ عند العرب. الطبعة الثالثة. بيروت. دار الكتاب اللبنانىّ للطباعة والنشر.

سمّاط، مريم. ٦ سبتمبر ١٩١٥م. "مذكّرات ممثّلة". جريدة الأهرام. المقال السادس. العدد ١١٤٧٨؛ ٢٤سبتمبر ١٩١٥م. العدد ١١٤٣٥.

عشرى زايد، على. ١٩٧٨م. استدعاء الشخصيّات التراثيّة فى الشعر العربى المعاصر. طرابلس: الشركة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان.

عنترة. ١٩٩٢م. ديوان عنترة. الطبعة الثانية. بيروت: دار صادر- دار بيروت.

عنترة. ١٩٠٨م. كتاب عنترة بن شدّاد السيرةم. الجزء الأوّل. لا ط. بيروت: المطبعة الأدبيّة.

قاسم، جميل. "سيرة عنترة بن شدّاد إلياذة العرب". مجلة العربيّ. العدد ٥٩٠. كانون الثانى ٢٠٠٨. صص ٢٠- ٢٥.

القبّانى، أحمد أبو خليل. ١٩٦٣م. المسرح العربى. دراسات ونصوص. إعداد محمّد يوسف نجم. بيروت: دار الثقافة.

www.SID.ir

Archive of SID

کاظم الإسلامی، إیاد. ٢٠١٣م. التناصّ الأسطوری فی المسرح. الطبعة الأولی. الأردن- العراق: دار الرضوان. دار الصادق.
الکیلانی، إبراهیم. مجلّة المعلّم العربیّ السوریّة. العدد الأوّل. ینایر ١٩٤٨.
المالح، وصفی. ١٩٨٤م. تاریخ المسرح السوریّ ومذکّراتی. الطبعة الأولی. دمشق: دار الفکر.
محقّق، نورالدین. ٢٠٠٦م. "المشروع النقدی عند د. سعید یقطین". مجلّة دروب. ٢١ دیسمبر.
مهران، سامح. "الحداثة والتراث فی المسرح العربی". دراسات فی المسرح المعاصر. القاهرة: المرکز القومی للمسرح والموسیقی والفنون الشعبیة.
موجز دائرة المعارف الإسلامیّة. ١٩٩٨م. ج ٢٤. الطبعة الأولی. الشارقة: مرکز الشارقة للإبداع الفکریّ.
الموسوعة العربیّة. ٢٠٠٥م. ج ١٣. الطبعة الأولی. دمشق: هیئة الموسوعة العربیّة.
نجم، محمّد یوسف. ١٩٨٠م. المسرحیّة فی الأدب العربیّ الحدیث ١٨٤٧- ١٩١٤. الطبعة الثالثة. بیروت: دار الثقافة.
نورالدین، صدوق. ١٩٨٥م. إشکالیّة الخطاب الروائی العربی. لا طبعة. الدار البیضاء. المغرب: منشورات أوراق.

المصادر والمراجع الأجنبیة:

- Badawi, Muhammad Mustafa, (1988), Early Arabic Drama, First published, Cambridge, Cambridge university press.
- Dictionnaire Encylopédique, Quillet, Hem, LIS, Libairie AristidQuillet, Paris, 1979, مادّة Nq-pos.
- Genette, Gérard, Palimpsestes, (1982), Paris, Edition seuil.
- The Encyclopedia of Islam, (1913), Volume 1, London, Brill LTD Publishers and printers.
- The Encyclopedia of Islam, (1960), Volume 1, New edition, London, Leiden, E.J.Brill.

www.SID.ir